المسألة التاسعة

الله يحب كون المعصية عند المجبرة

ثم قال عبدالله بن يزيد البغدادى: ثم سلهم عن قول الله، عز وجل: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [١]، هل أحب اللهُ أن يستشهدَ احدٌ من خلقه؟

فإن قالوا: نعم. فقل: أفليس إنما تكون الشهادة بأن يقتل الرجل؟.. أفليس قد أحبَ اللهُ أن يقتل؛ لأنه قد أحب أن يستشهد، والشهادةُ لا تكونُ إلا بقتلٍ من عاصٍ؟! أفليس قد أحب الله أن تكون إذن المعصية؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بمعصيةٍ، فقد أحب الله أن تكون المعصية ممن علم أنه سيعصى؟!!.

فإن قالوا: لَمْ يحبُ اللهُ أن يستشهدَ أحد [٢] من خلقه.

فقل: أفليس قد كرهَ اللهُ ما صنعَ حمزة بن عبد المطلب [٣]، ولم يحب ما يصنع، ولا أن يستشهد أحداً [٤] ممن كان مع رسول الله، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وقد أمر الله بما لا يحبُ؛ لأنه قد أمر بالقتل وفيه الشهادة فقد أمر بما لا يحب وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾، فهو لا يحب ما قال إنى متخذه منكم ومثيبكم عليه الجنة؟!!..

فإن قالوا: نعم. فهو تكذيب لكتاب الله، فابصر مواضع هذه المسائل، فإن فيها بلاغاً، والحمد لله.

***

رد أحمد بن يحيى:

الجواب، قال الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: قد فهمنا ما اعتللت به، من قول الله، جل ثناؤه: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾، واعتقادك فى ذلك أن الله، عز وجل عما قلت، **هو الذى قتل الشهداء، أو سفك دماءهم، وأراد ذلك**

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) فى الأصل: احداً.

(٣) فى الأصل: احداً.

(٤) هو حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله، ﷺ، اسلم قبل الهجرة، وكان قوى التشكيمة، اسد لله ولرسوله، هاجر وشهد بدراً، وكان فتحاً للإسلام والمسلمين، فجاهروا بالدعوة، قتل شهيداً بأحد، ودفن بالمدينة سنة ٣هـ.

من المشركين وقدره عليهم، وخلق فعلهم بالمؤمنين، وقضاه على الفرقين جميعاً، فقتل أولياءهَ وأهل طاعته وعبادته ومحبته وأنصار نبيه، صلى الله عليه، بأيدى أعدائه المخالفينَ له، والمشركين به والمحاربين له ولنبيه ، صلى الله عليه ولمن ولاه ووالى رسله من المؤمنين!

٥٠ ظ/ وهذا القول يوجب عليك، أن حسن نظره ورضاه ومحبته. / وإرادته لظفر المشركين بأوليائه ، وأهل طاعته، وقتل **حمزة بن عبد المطلب** ، رحمة الله عليه ورضوانه، فلم يفعل المشركون من قتل المؤمنين، على قولك، إلا ما أراد الله، عز وجل، من قتلهم لأهل طاعته وأنصاره، وأوليائه وصفوته ، فذلك قولكم **أيها المجبرة**، وعليه وضعت حجتك هذه علينا، فى اتخاذه الشهداءَ من المؤمنين، وأنه هو الذى أراد قتلهم وقضاه عليهم، وأراد كون المعصية من المشركين ، زعمت !

الفصل بين إرادة الله وإرادة إبليس :

ونحن نقول لك: إن إرادة الله ، عز وجل، فى قتل المؤمنين ، على قولك، موافقة لإرادة إبليس اللعين فى قتل المؤمنين؛ لأن إبليس أراد أن يقتل الأنبياء والمؤمنين، وأن تكون الغلبة والظفر للمشركين؛ لأنهم أولياءه وأهل طاعته، فأراد إبليس أن تكون الدائرةُ والحسرة ، على أعدائه المؤمنين؛ لأنهم أبغض الفريقين إليه.

وكذلك أراد الله ، زعمتم ، فى حجتكم هذه علينا، أن إبليس أحسنُ نظراً لأهل طاعته من الله، عز وجل، لأهل طاعته؛ لأن إبليس يريدُ أن يكونَ الظفرُ للمشركين على المؤمنين ، وأن الله، عز وجل، كما قلتم، أراد قتل المؤمنين وسفكَ دمائهم، وظهور المشركين عليهم، وظفرهم بهم، وأن يعصيه المشركون فى قتلهم ، فبين إرادة الله، عز وجل، فى أوليائه، وأهل طاعته وأنبيائه، والأئمة من عباده ، من زوال الأقدام ، وظهور الأعداء ، وبين إرادة إبليس فى ثبات أقدام أوليائه ،وظهورهم على حزب الله ، عز وجل، وغلبتهم للمؤمنين ، فرقٌ عظيمٌ!!!

إرادة الله مخالفة لإرادة إبليس :

وهذا لازمٌ لكم، وفيه خروجُكُمْ من الإسلام ، أو الرجوع إلى التوبة، وأن إرادةَ

إبليسُ قد وافقت إرادة الله، زعمتم، فى قتل الشهداء ، وأن رسول الله (محمد المصطفى)[1] صلى الله عليه. مخالفةٌ إرادتهُ لإرادةِ الله فى قتل الشهداء ؛ لأن النبى ، صلى الله عليه، قد أحب بقاء عمه حمزة، وعمه قتله، وبلغ منه، وأوجعَ قلبه، ومن قتل معه من المهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، جميعاً، وعمّه أيضاً ، وبلغ منه ظفر المشركين به وباصحابه.

إلا أن يقول: إن النبى ، صلى الله عليه، كان شامتاً فرحاً بقتل الشهداء!.. فوافق إبليس فى فرحه بقتلهم وشماتته عليهم، كما زعمت، أن الله، عز وجل، أراد قتلهم، وأن يعصيه المشركون فى ذلك، فاتفقت إرادة الله، عز وجل، وإرادة نبيه، صلى الله عليه، وإرادة إبليس، عليه لعنة الله، جميعاً فى قتل الشهداء، والرضا به والمحبة لزوالهم من الدنيا، وراحة المشركينَ منهم واختلال موضعهم من الإسلام ، وظهور المشركينَ على الرسول ، صلى الله عليه، فلا لوم على إبليس لموافقته لإرادة الله وإرادة رسوله، على قود قولكم!

وهذا أعمى العمى[2] ، وأكفر الكفر؛ لأن الصحيحَ فى إرادة إبليس، المخالفةُ لله

٥١و/ ولرسولهِ؛ وأن الله ورسوله لم يريدا ، ولم يحبّا قتل المؤمنين ، وأن إبليس أراد قتلهم وظهور المشركين عليهم.

ثم نقول لك: ياعبد الله بن يزيد البغدادى: أخبرنا : هل كانت العربُ، أهل اللغة والكلام الصحيح والفصاحة، عند فصل الخطاب، الذين خاطب الله، عز وجل، محمداً ، صلى الله عليه، بلغتهم ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[3] ، فهل كانت العربُ والنبى، صلى الله عليه ، واصحابه من المهاجرين والأنصار، رحمة الله عليهم، يسمون حمزة بن عبدالمطلب ، رضى الله عنه، «سيد الشهداء» قبل أن يقتله المشركون فى يوم أحدٍ؟!

فإن قلت : نعم. أكذبك جميعُ أهل الإسلام، وعلموا أنك قد قلت غير الحق ، وشهدوا لنا عليك جميعاً ، بانك افتريت الباطل، وما لا يعرف فى الإسلام.

---

(١) زيادة من الهامش.

(٢) فى الأصل: عما العما.

(٣) سورة إبراهيم : الآية ٤.

حمزة شهيد بعد قتله:

وإن قلت: إن النبى، صلى الله عليه، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، إنما سموا **حمزة**، رضوان الله عليه، سيد الشهداء، بعد ما استشهدَ فى يوم **أحدٍ**، هو وأصحابه. لزمكَ أن الله!، عز وجل، إنما اتخذ الشهداء شهداء، بعد ما قتلهم المشركون؛ لأنه سلط عليهم أعداءه المشركين، حتى قتلوهم، وأدخلوا بقتلهم الوهن على نبيه، صلى الله عليه!! عزَّ ذلك الواحد العدل، الذى لايجور ولايقضى بالفساد، الذى لايرضى لأوليائه، وأهل طاعته، إلا بالسلامة من الأعداء تخييراً، والطاعة وقلة المخالفة والكف عنهم وحقن دمائهم، وأن يكون لهم العاقبة والغلبة، والظهور والرياسة، هذه إرادة الله، عز وجل، فى أهل طاعته، وأهل ولايته ومحبته وأنصار دينه، عز وجل، الذى حرَّم دماءهم غاية التحريم، وأكد فى قتلهم على الظالمين، غاية التأكيد، وهذا القرآن، أكثر شاهد لنا، وأفلح حجيج.

قال الله، عز وجل: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** (٩٣) ﴾(١)، فبلغنا أن **عبدالله بن العباس** (٢)، رحمة الله عليه، قال لما نزلت الآية: ما كان اللهُ، عز وجل، أن يقطع عنه، يعنى القاتل، مع قوله عزوجل: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا** ﴾ (٤)، فسمَّاه مظلوماً، وجعل لوليه الحكم والحجة، ولوكان الله، عز وجل، فى قتل المؤمنين سَبَّبَ سبباً واحداً من جميع الأسباب كلها، لم يسم المقتول مظلوماً، فيكون الله، عز وجل، قد دخل فى ذلك الظلم، وعاب ما فعل وزراً، ٥١ظ/ نفيما هى عن فعله، عز وجل عن ذلك، العدل الذى لا يجور، ولايفعل إلا الحكمة، ولايريد الباطل ولايقضى بالفساد، ولا يخلق الكفر، ولا يقتل الأولياء بأيدى الأعداء / ولا يظهر عليهم الأشقياء، ولايُعذبُ على ما صنع، ولا يؤاخذ بما قدَّرَ، ولا يعيبُ ما خلق، ولا يضطر إلى ما علم، ولا يوجب النار على أمرٍ هو فعله،

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٢) هو **عبدالله بن العباس** ابن عم رسول الله، ﷺ، حبر الأمة، ترجمان القرآن، نشأ فى الإسلام، وروى عن رسول الله، وشهد **صفين والجمل** مع أمير المؤمنين **على بن أبى طالب**، ولد فى ٣ ق هـ، وتوفى فى **الطائف** ٦٨هـ بعد ماملأ الدنيا علماًوفقهاً. انظر، ترجمته الزركلى: الأعلام ٤/٩٥.

(٣)، (٤) سورة الإسراء: الآية ٣٣.

ولا يغضبُ مما أدخل فيه، وحمل عليه وقدَّره ، قدوس رب الملائكة والروح، (و) كذبَ العادلون بالله، وضلوا ضلالاً بعيداً ، وخسروا خسراناً مبيناً .

ثم قال، عز وجل : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١) .

افهذا ، أيها المهلك لنفسه ، والمفترى على خالقه، قول من أراد قتل أوليائه بأيدى أعدائه؟!! قاتلكم الله أنا تؤفكون .

فاتخاذ الله، عز وجل، للشهداء، إنما هو بعد قتلهم لا قبله، جزاء بما نالهم فى جنبه، وتشريفاً لهم وتفضيلاً ، بما وفوا به من الشراء، الذى باعوا فيه أنفسهم وأموالهم، رحمة الله عليهم ورضوانه، وإنما اتخذ اللهُ، جل ثناؤه، شهداء من المؤمنين، لما قتلوا فى سبيله مجاهدين للكفار، ناصرين للحق دافعين عن الرسول، صلى الله عليه وعلى آله، راغبين في الثواب ، مستبشرين بالبيع الذى قال الله، عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ (٢) .

فاخبرهم ، عز وجل، أن لهم الجنة، والملك الذى لايزول، على أن يقاتلوا دون الإسلام ، وأعداء الله المشركين ، فمن قتلوه صار بقتلهم له إلى النار والعذاب المقيم، ومن قتلهم فقد استحق من الله، عز وجل، الخلود فى نار جهنم ابداً الابيد، بما عصوا الله ورسوله، وكذبوهما ، واتبعوا أهواءهم فى ذلك، وجعلوا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ، إذ لم يحملهم الله ، عز وجل، على قتل أوليائه، ولم يرده منهم، ولم يقضه عليهم ولم يقدره من فعلهم، ولم يخلقه فيهم، بل قال ، جل ثناؤه: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ (٣) ، وقال: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) ﴾ (٤) .

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢ .

(٢) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧ .

(٤) سورة النساء : الآيتان ٢٦ - ٢٧ .

فأخبرنا ، عز وجل، كيف إرادته ، وكيف العدل فيها؟ وأخبرنا كيف إرادة أعدائه والجور فيها، مع قوله إن الله برئ من المشركين ورسوله، ليس براءته إلا من فعلهم ، وقد فسرناه فى صدر كتابنا هذا.

فالله، عز وجل ، إنما اتخذهم شهداء بعد قتلهم، لا قبله ، أى سماهم وحكم لهم أنهم شهداء تجب لهم الجنة.

٥٢و/ فأما أن يكون جبراً وقسراً، وأراد من أعدائه المشركين قتل /أوليائه المؤمنين، فحاشاه وتقدس عما قلتم، والدليل على ذلك والحجة لنا القاطعة ، فيه قوله، تبارك وتعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [1]، فأوجب قتل المشركين حتى لا يبقى على وجه الأرض مشرك ولافتنة، ويكون الدين كله لله، عز وجل، ولايبقى دين من جميع الأديان كلها الباطلة فى أرضه.

وأراد أن يبقى دينه الذى ارتضاه لنفسه، وفى هذا أكبر الدليل وأبين الحجة على أنه لم يُرد قتل أوليائه، ولا ظفر المشركين بهم؛ لأنه لو أراد قتل أوليائه، فيمن إذن تقتلُ أنبياؤه أعدائه؟ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؟!!

ومن الحجة أيضاً ما يوجب بطلان قولكم، ويدحض حجتكم، أن نقول لك: هل أرادَ اللهُ، عز وجل، من المشركين أن يقتلوا أولياءه من المؤمنين؟

فإذا قلت: نعم.. كما قد قلت، أكذبك الله، عز وجل، فى قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [1]، فيلزمك أنه إذا لم يكن فتنة ، وكان الدين كله ، عز وجل ، على فرض لم يبق فى الأرض فتنة، ولا مشركٌ يقتل المؤمنين ، وعباد الله الصالحين ، فهذا يوجب عليك أنك قد أبطلت وأخطأت فى قولك: إنه، عز وجل، أراد قتل أوليائه ؛ لأنه لو أراد قتلهم لم يعن أعداءهم بالقتال الذى افترض على النبى، صلى الله عليه، والمؤمنين، تخييراً لاجبراً ، حتى تكون لهم العاقبة والملك والسلامة من القتل ، وفى هذا كفاية لمن عقل وأراد الحق، وتاب عن الفرية على الله ، جل ثناؤه.

وإن قلت: إن الله، عز وجل، لم يرد قتل أوليائه من المؤمنين، ولم يقضه على المشركين . رجعت عن قولك ، وصرت إلى قولنا بالعدل، وذلك هو الحق ، ولا نعلم لك مخرجاً من

---

(١) سورة النساء: الآية ١٩٣.

هذه الحجج، وفيها بطلان حجتك فى قولك: إن الله، عز وجل، ، اتخذ الشهداء بإرادته لمعصية الأعداء، وهذا أعظم الفرية على الله، جل ثناؤه ، مع آيات كثيرة تشهدُ عليك، مثل قوله، عز وجل، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (١) ، وفى هذه الآية حجة عليك أيضاً، فى أن الاستطاعة قبل الفعل.

لأن إعدادَ القوةِ، ورباط الخيل، إنما يكون قبل القتال لا مع القتال ، وهذا يبطل قولكم أن الاستطاعة مع الفعل لاقبله، وقوله، عز وجل، فى التحريض على قتال المشركين، وإرادته لفنائهم، وبقاء المؤمنين من بعدهم وسلامتهم: ﴿ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ٥٢ظ/ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ / الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا (٨٤) ﴾(٢)، وقوله: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ (٣)، إلى آخر الآية ، كل ذلك يدل على أنه يريدُ قتل المشركين ، وحقن دماء المؤمنين، لا ما قالت المجبرة الكاذبة على الله، عز وجل، أنه أراد قتل الشهداء والأولياء ، وظفر المشركين والكفار والأعداء.

الفرق بين الأولياء والأعداء، هو أن إرادة الله مع أوليائه :

فإن كان الله، عز وجل، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب، رضوان الله عليه ورحمته، يوم أحد، وأراد قتل أبى جهل بن هشام (٤)، لعنة الله عليه وغضبه ، يوم بدر، فما الفرق بين الإرادتين ، وما الفصل بين الحكمين، وأين الحق والعدل فى هذين المعنيين؟!

فالله ، زعمتم ، أراد قتل حمزة بن عبد المطلب وسماه مطيعاً ، وحكم له بالجنة وأراد قتل أبى جهل بن هشام وسماه عاصياً وحكم عليه بالنار ؛ لأنكم ، زعمتم ، أن الله، عز وجل، أراد أن يكون بعض الخلق مؤمنين، وبعضهم كافرٌ بلا استحقاق واحد من الفريقين ، زعمتم !!!

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠.

(٢) سورة النساء : الآية ٨٤.

(٣) سورة التوبة: الآية ٥ وفى الأصل : اقتلوا . وهوخطأ.

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومى القرشى ، كان من أشد الناس عداوة للنبى والإسلام ، من سادات قريش ، خرج مع المشركين فى بدر فقتل سنة ٢هـ. انظر ترجمته؛ الزركلى : الأعلام ٥ / ٨٧.

ثم قال في كتابه للكفار: ﴿لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون ⑦﴾ [1]، ويحك فأخبرنا، ماذا عملوا، وإنما بإرادته قتلوا، وبإرادته دخلوا النار، جل الله عما قلتم!!

ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ④ سيهديهم ويصلح بالهم ⑤ ويدخلهم الجنة عرفها لهم ⑥﴾ [2]، وهو، زعمتم، الذي أراد قتلهم، وبإرادته قتلوا، وبإرادته دخلوا الجنة لا بعمل، زعمتم، في قود قولكم؛ لأنه، زعمتم، في قود قولكم؛ لأنه - زعمتم - جعل بعضهم مؤمنين وبعضهم كافرين.

ثم قال لهؤلاء: ﴿جزاء بما كانوا يعملون ㉔﴾ [3]، ولم يقل ما قالت **المجبرة** من أن ذلك الجزاء كله كان بإرادته وباستحقاق، وكان من فعل الفريقين، ولا أنه دخل بمقياس ذرةٍ فما دونها.

أدلة المجبرة متهافتة:

أفترى، أيها المفترى، أن البهائم لو علمت، واحتج عليها، بدون هذه الحجج، هل كانت تستجير أن تقول مثل مقول **المجبرة**، المفترية على الله الزور والبهتان؟!!

وهؤلاء **المجبرة** المفترون على الله، جل ثناؤه، يسمعون القرآن يتلى عليهم في كل يوم، ويحتج به **أهل العدل** في رده دعواهم، وهم مع ذلك يصرُّون ويستكبرون على الجهل، والتعالي عن الحقّ، وليس من سورة إلا وفيها العدل شاهد على من خالفه، ولو كان في القرآنِ آية واحدة، توجبُ لهم علينا حجة، أو تقطع لنا مقالة، ٥٣و/ لانقدر لها على جواب؛ لفسد جميع العدل، ولم تقم لأهله حجة؛ **وإنما تعلقوا بآيات متشابهات**، ولم يعرفوا معانيها/ وقلدوا كبراءهم، وما غروهم به في تأويلها، مع جهلهم باللغة العربية وتصرُّفها في القرآن، وجهلوا التأويل الموروث عن أهل بيت النبوة، عليهم السلام، وأبغضوا الحق وأهلَه، ونصبوا لهم العداوة

---

(١) سورة التحريم: الآية ٧.

(٢) سورة محمد الآيات ٤ - ٦.

(٣) إشارة لعدة آيات من القرآن سبق تخريجها من قبل وليس بها: «بما كنتم»، ولكن يوجد بالقرآن «بما كانوا»، كقوله تعالى: «جزاء بما كانوا يعملون» سورة الواقعة الآية ٢٤.

وتعاموا عن قوله، عز وجل، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [1].

فى فضائل آل البيت :

والمطهر من الرجس، لايكون فى دينه زلل، ولا فى قوله ميل، ولا فى تاويله للقرآن خطلٌ، فلم يكن، عز وجل، ليطهر من يكذبُ عليه، ويكون من عانده أولى بالحق منه، وهو ، عز وجل، أعلم بالمفسد من المصلح، ولو علم ان أهل بيت النبوة يقولون عليه بالجبر والتشبيه، والأمر الذى زعم من خالفهم أنهم فيه مخطئون ، من قولهم بالعدل والتوحيد، وإثبات الوعد والوعيد والإمامة.

ما أذهب الله، عز وجل، الرجس عمن يعلم انه يكذب عليه، ويعتقد غير دينه الذى ارتضاه ، وإذن لم يطهرهم تطهيراً، وهو يعلم ان فى الأمة من هو أبصر منهم بالدين ، وأقوم بالحق، وأقول عليه بالعدل والتوحيد والتصديق.

ثم يصطفى أهل البيت دونهم، ويجعل إليهم الرئاسة والسياسة، وهو يعلم أن فى أمة محمد، صلى الله عليه، من هو خير منهم، ثم طهرهم وأذهب عنهم الرجس، وفى الأرض من هو أحق بالتطهير وإذهاب الرجس منهم ، وليس هذه صفة حكيم ولا حسن الفعل، ولا مفضل لأهل الفضل، ولا مُعَرِّفٌ بقدر مستحق، ولا مبين له على من هو دونه، وهو الذى قال، عز وجل : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [2]، وقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [3]، وقال: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [4]، اى: سماهم ضُلالاً بفعلهم وظلمهم ، لا أنه أضلهم جبراً وقسراً.

وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [5]، فالواجبُ عليه، عز وجل ، إذا كان الخلق لا يستوى عنده أن جعل التطهرة وإذهاب الرجس، للفرقة التى هى أقوم بدينه ، وأعرف بحقه، وأقوم بطاعته، وأعلم بكتابه، وأحكم بسنته، وأقول بعدله

---

(١) سورة الاحزاب : الآية ٣٣.

(٢) سورة الكهف : الاية ٣٠، وجاءت فى الاصل خطا بيناً.

(٣) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٥) سورة الزمر : الآية ٩.

وتوحيده ، وإثبات وعده ووعيده، وأولى [1] أنْ تثبت بالقول الثابت فى الحياة الدنيا قبل الآخرة.

فلما علمنا أن ربنا، عز وجل، قد طهر أهل بيت نبينا، صلى الله عليه، فى كتابه، وأذهب عنهم الرجس، وذلك للسابقين [2] منهم بالخيرات دون غيرهم، علمنا أنهم ٥٣ظ/ أهل الحق، وأهل العلم بالدين، والقومة بالكتاب، والحكام / على الناس، وأن من خالفهم هو المبطل الهالك؛ لأن الله، عز وجل، أكرم وأعدل وأحكم، من أن يذهبَ الرجسَ ، ويطهر من الدرن والعيوب، من يكذب عليه، ويخالف كتابه ورسوله، صلى الله عليه، ويدع القوم الذين هم أقوم بدينه منهم.

فقد صحَّ وثبت، والحمد لله، أن الحق، والدين الصحيح، والمذهب المرضى، مع القوم المطهرين، فى القرآن المذْهَب عنهم الرجس، وأن الباطلَ والضلال، والجبر والتشبيه والخطأ والفساد، مع القوم الذين عاندوهم، ولم يطهروا فى القرآن ، ولم يذهب عنهم الرجس ، فوجب أن الحق المحق ، مع القوم الذين أذْهبَ عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، ومن قال بقولهم على الحقيقة؛ أن الله، عز وجل، لا يغلط ولايخطئ ولايجور ، ولا يضع الصفوة فى غير أهلها، ولا يعطى الحجج القاهرة من يكذب عليه، كما لا يجوز أن يعطى الله، عز وجل، المعجزات، من يكذب عليه، ممن يدعى النبوة وليس بنبى ، ويغوى العوام وجهال الناس.

لا يعطى الله المعجزات لكذابين:

وذلك مثل ما ادعوا لفرعون من الخبر الذى سال الله فى ، زعمهم ، فارسل معه النيل يسير إذا سار ، ويقف إذا وقف ، ولوجاز أن يكون هذا حقاً ، لم يكن بين معجزة فرعون، ومعجزة موسى، عليه السلام، فرق، تجب به نبوة موسى، صلوات الله عليه، من إلقائه العصا وفلق البحر، وغير ذلك من الآيات.

فافهم هذا، أنت يا عبد الله بن عمر [3]، أكرم الله وجهك، أعنى ولينا عبدالله عمر، أكرمه الله.

---

(١) فى الأصل: واولا.

(٢) ولذلك قال بعض علماء الزيدية، بان اجتهادات الائمة السابقين منهم «السلف» حجة لازمة.

(٣) هذا الرجل هو الذى اطلع الإمام أحمد بن يحيى على كتاب عبدالله بن يزيد البغدادى، فقام بالرد عليه فى كتابنا هذا.

المغزى من كتاب المجبر عبدالله بن يزيد :

واعلم يا أبا محمد ، أكرمك الله، أن القوم إنما وجهوا إليك بكتاب عبد الله بن يزيد البغدادى ، ليوقفوك أن معهم من الحجج فى إثبات الجبر، ما لا يقدر له أحد على نقض ، ولا رد جواب.

فقد أتاك من حجج الله ، وتصديق كتابه، ما فيه الشفاء لكل مسلم، والمعرفة بكذب من كذب [1] على الله، عز وجل، وافترى عليه، وتأول كتابه على الكفر به ، والإلحاد فى صفته، وإقامته لعذر المشركين وجميع العاصين ، واسناد كل ظلم وجور وفاحشة وفساد، إلى رب العالمين ، عز عن ذلك أكرم الأكرمين.

فانعم النظر فيما رسمنا لك، وعلّمه المسلمين ، واشْهره فيما قبلك؛ ليعرفَ الناسُ الحق من الباطل، والمحق من الكاذب، إذ لايسع غير ذلك ، وحرّج على من وصل إليه كتابنا هذا كتمانُهُ ، حتى يبينه للناس، وكفى [2] بالله شهيداً .

احتج المجبره بقول الله : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ :

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادى : ثم سلهم عن قول الله، سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [3]، أليس قد جعلها قاسية؟!

فإن قالوا : نعم. فقد أعطوك بأن جعل بعض قلوب العباد قاسية، فسلهم عند ذلك ٥٤و/ فقل: أخبرونى عمن جعل الله قلبه/ قاسياً ، أيكلفه الإيمان وقد جعل قلبه قاسياً؟

فإن قالوا : نعم. فقد أعطوك ما عابوا عليك من العدل. وإن قالوا : لم يجعلها الله قاسية، فقد تركوا الكتاب.

فسلهم : أرأيتهم قوله : ﴿ جَعَلْنَا ﴾ ، هل أنزل الله هذا؟. فإن قالوا : بلى [4]. فقل : فإنه قال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ ، فإن قالوا : إنما عنى بذلك جعلها قاسية بالنقض؛ لأنه قال : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [5]، فقل لهم عند ذلك : إنا لانبالى على أىّ الوجهين جعلتم كلامكم؛ لأنه عندنا لنا فيه حجة، فلا نبالى قلتم الطبع قبل النقض ، أو بعد؟

---

(١) فى الأصل : كذب.

(٢) فى الأصل : وكفا.

(٣) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٤) تكررت العبارة فى النص مرتين.

(٥) الآية السابقة .

أخبرونا الآن، إذ زعمتم أنه طبع بعد بالنقض، وزعمتم أن من طبع الله على قلبه فلا يؤاخذه بمعصية ، وأن الله لايفعل ذلك إلا بعد النقض، لأن وصفَ الله بأنه يطبعُ ثم يُكلِّفَ فقد وصفَ الله بالجور!

أخبرونا الآن إذ أقررتم بأنه قد طبع النقض، وزعمتم، أكلفهم الإيمان من بعد ما طبع على قلوبهم؟!

فسلهم عند ذلك عن **اليهود والنصارى**، وجميع الكفار، واليسوا ناقضين ؟ فإن قالوا: بلى [1] .

قل : أفليس قد طبع الله على قلوبهم؟ فإن قالوا: نعم.

قل: أفليسوا مكلفين اليوم الإيمان، ولا يؤاخذهم الله بكفرهم بالله اليوم بعد الطبع فقد يطبع الله على قلوب قوم، ثم يكلفهم الإيمان؟!..

فإن قالوا: نعم. فقل: اليس المؤمنون قد كانوا يسألون الله أن لايظلمهم؟!

وأخبرونا عمن سأل الله أن لايظلمه، أعرف الله أم لا؟

فإن قالوا: نعم، إنه يعرف الله.

فقل: أفليس يعرف الله من لايدرى لعل اللهَ سيظلمه؟! فإنهم لن يعطوك هذا.

وإن قالوا: إنهم إنما فعلوا ذلك؛ لأنهم قد علموا أن الله قد كلف قوماً ما لا طاقة لهم به، فى غير ظلم من الله لهم، فسألوا الله أن لا يخلقهم ، فذلك العدل قد أقروا به.

رد الإمام أحمد بن يحيى:

الجواب قال **أحمد بن يحيى** ، صلوات الله عليهما: وسألت عن قول الله، عز ٥٤ظ/ وجل: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [2]، ونسبت العدل فى ذلك، ووقع عندك وفى اعتقادك أن الله، تبارك وتعالى، العدل الذى لايجور، ولا يقسى قلوب العباد عن طاعته ولا الدخول فى دينه.

لو كان ذلك فعله، عز وجل، لما افترض عليهم الإسلام ، ولا الاقتداء بمحمد، عليه

---

(١) فى الأصل: بلا

(٢) الآية السابقة.

أفضل السلام، ولا جاز في عدله ولا في حكمته، ولا نفى الجور والظلم عن نفسه، أن يقول: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [١]، وهو الذى أقساها وحال بينها وبين الطاعة، بتلك القساوة الحائلة بينهم وبين الهدى.

ولو أنه، عز وجل، هو الذى أقساها، لم يكن لإرساله لنبيه، صلى الله عليه، معنى في مجيئه إليهم، ليثبت عليهم الحجة، فيقول لهم: ﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٢]، فقد أرسلنى الله، عز وجل: إليكم، لأنْ تدَعُوا قساوة القلوب، وترجعوا إلى الإيمان بالله، والإقرار بأنى رسول الله.

وإنما المعنى في قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [٣]، فإنما ذلك بما حكاه الله عنهم في أول الآية، فقال: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ ﴾ [٤]، فبهذه الوجوه الثلاثة حكم على قلوبهم بالقساوة، وسماهم قساة القلوب بفعلهم، لا أنه أقسى [٥] قلوبهم، وإنما نقضوا عهدهم وكفروا بآيات ربهم، وحرفوا القول عن مواضعه، ولا يزال الرسول، صلى الله عليه، يطلع على خائنة منهم.

جعل التسمية أراد لا جعل الجبر:

فهذا الذى به قامت عليه الحجة، ولم تقم على الله، جل ثناؤه، لهم حجة، وإنما سماهم، عز وجل، قساة القلوب، تسمية لا أنه جبرها على القساوة جبراً.

فالذى أراد من ذلك، عز وجل، من الجعل الذى غلطتم فيه، **جعل الحكم والتسمية**، لا جعل الجبر، وذلك جائز في لغة العرب، تقول العرب: ضللنى **فلان**، أن سماه ضالاً، وكفرنى فلان: أى سماه كافراً.

قال الكميت [٦]:

فطائفة قد أكفرونى بحبكم ... وطائفة قالوا مسئٌ ومذنبُ

وزنانى فلانٌ: أى سماه زانياً، فعلى هذا القياس يخرجُ الكلام، **فعبد الله بن يزيد**

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٣)، (٤) سورة المائدة: ١٣.
(٥) في الأصل: اقسا.
(٦) الكميت بن يزيد بن خنيس الأسدى، شاعر الهاشميين، اشتهر في العصر الأموى وكان عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، تعصب للمضريين، قيل فيه: لولا الكميت لم يكن للغة ترجمان، انظر الزركلى: الأعلام ٥/٢٣٣.

البغدادى، يحتج لهم حتى تقوم حجتهم على الله، ويثبت عذرهم فى نقض العهد والكفر، وتحريف القول والخيانة.

ونحن نحتج لله، عز وجل، ونزودهم عن قوله؛ لئلا يكون للناس على الله حجة
٥٥و/ بعد الرسل، والمجبرة المفترية/ على الله، جل ثناؤه، يطلبون إبطال قوله: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ (١)، وتكون الحجة لهم على الله، يدورون فى كسر هذه الآية، ويحتالون على فسادها بكل حيلة، ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) ﴾ (٢).

فانظر أى الفريقين يحتج لله، عز وجل، ومن الذى يحتج عليه، ويلزمه خطأ الكفار، ويسند إليه أنه لولا ما أقسى (٣) به قلوبهم، لسلموا من النار، ونجوا من العقوبة!

سبحان الله العظيم، ما أقبح هذا القول، وأشنع هذا من مذهب قوم، يسمعون القرآن ويقرون به، أنه من عند الله، عز وجل، ثم يكون هذا دفعهم عن الكفار، ونفيهم العيب عن جميع العصاة، وإلزامهم العيب والجور لربهم، عز وجل عن ذلك وتعالى.

الا ترى كيف قال فى القوم الذين أراهم آيته، ليؤمنوا به، فلم تزدهم تلك الآيات إلا تجاهلاً وتعامياً، حتى صاروا بذلك الفعل إلى ما نسبهم الله، عز وجل، إليه، حيث يقول: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ (٤).

أفلا ترى أن قسوة القلوب، إنما هى بعد ما رأوا الآيات، وبان لهم الحق، وأنهم هم الذين أقسوا قلوب أنفسهم، لا هو، عز وجل، إنما سماهم بما فعلوا واختاروا، وضرب لهم المثل العظيم فى الحجارة، أنها ألين من قلوبهم القاسية، التى أقسوها عن الله، عز وجل، عدواناً وظلماً، وحميَّة وعصبية على الكفر.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢ وفى الأصل: ويابا.
(٣) فى الأصل: اقسا.
(٤) سورة البقرة: الآية ٧٤.

أقسام الجعل في كتاب الله:

وقد أعلمناك أن الجعل فى كتاب الله، جل ثناؤه، على وجهين: **جعل حكم وتسمة،** **وجعل جبر وقسر وحتم،** لا مخرج منه لأحد من الخلق.

جعل الحكم والتسمية:

فالجعل الذى هو جعل الحكم والتسمية، مثل قوله، عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ**﴾ [1]، وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ [2]، وقوله: ﴿**وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾ [3]،ذلك كله مما ليس لله، عز وجل، فيه جبر خلقه، ولا قسر ولا حتم، وإنما سماهم، وحكم عليهم بفعلهم.

جعل الجبر والقسر والحتم:

وأما جعل الجبر والقسر والحتم الذى **لا مخرج** لأحد فيه، ولا حيلة فيه ولا محيص عنه، فهو ما لم تعقله، أنت وأصحابك المجبرة، ولم تأخذوه من عين صافية ولامنهل روىّ، ولا وراثة عن نبوة، وكيف يشرب الماء العذب، من اغترف من البحر المالح الأجاج!!

٥٥ظ/ فذلك قوله، عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَا / السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا**﴾ [4]، ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ**﴾[5]، ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[6]، ﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)**﴾[7]، ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾[8].

مقالة المشبهة والمجبرة فى الحقيقة الواحدة:

وهذه من حجتكم على **أهل التشبيه** فى إثبات التوحيد، إذا قالت لكم **المشبهة**: إن القرآن كلامُ الله نطق به بآلةٍ كآلةِ المخلوقين. واحتججتم عليهم بانه مجعول، وهذا مما يفسد عليكم التوحيد، ويسقط دعواكم فيه، لما تقولون به من **الجبر**.

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.
(٣) سورة المائدة: الآية ١٣.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.
(٥) سورة الإسراء: الآية ١٢.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.
(٧) سورة النبأ: الآية ١٣.
(٨) سورة الزخرف: الآية ٣ . كتبت خطا هكذا: وجعناه.

فلا يزال الكلام يدخل عليكم فى اعتقادكم للجبر، بما يبطل عليك ما قلتم به من التوحيد؛ لأنه لا يقوم توحيد بلا إثبات عدلٍ، لأن من وصفَ الله، عز وجل، **بالجبر**، فقد شبهه بالمخلوقين، وهذا معنى جوابنا فى هذا من فساد التوحيد عليكم، بما فيه الكفاية إن عقلتم؛ **لأنه لا يقوم التوحيد ولا يصح إلا بإثبات العدل؛ لأنه لا يوحد الله، عز وجل، من شبهه بالجائرين؛ لأنه مشبه كالمشبهين.**

وأما قوله، عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [(١)]، فإنما هو جعل حكم وتسمية، لا جعل خلق ولا جبر، ولو كان، عز وجل، إنه هو الذى خلق ذلك إلا فك؛ لأن أفعال العباد، على زعمكم، مخلوقة. فافهم هذا الباب الذى غلطت فيه، وأهلكت من اتبعك [(٢)]، وإلا [(٣)] لزمك أن الله، عز وجل، خلق أفك الأفاكين؛ ثم عذبهم على خلقه، لا على أمر فعلوه هم، ولا خلقوه!!

فإن قلت: خلق نصفه وهم نصفه، فعل من فاعلين، على قولكم، إذ زعمتم أنه خلق خلقاً لله، واكتساب من العباد!

قلنا لك: فحسبك برجل زعم أن ربه شريك للأفاكين، وأنه جعل عليهم العذاب كله، وأنه الذى خلق الفعل، فكان الواجب أن يجعل عليهم نصف العذاب، إن كان ثم عدل أوحكم حق لاجور فيه.

وبالله ما زادت عبدة الأوثان، على قولك هذا، أن قالوا: إن الأوثانَ أرباب مع الله، عز وجل، وأنهم عملوا بأيديهم، ثم زعموا أنها التى ترزقهم وتقربهم، وكذلك قلتم: إنه خلق الشرك والكفر، وأقسى [(٤)] القلوب. ثم خلد من فعل ذلك فى العذاب الأليم!!

ثم نقول لك: خبرنا عمن خلق أعيان العباد؟.. فإذا قلت: الله. قلنا لك: وكذلك خلق نظرهم إلى المحارم، وإلى عورات النساء، وجميع القبائح!!.. فإن قلتم: نعم. قلنا لك: فلمَ عذبهم على خلقه لنظرهم إلى المحارم، ولمَ يعذبهم على خلقه لأعينهم [(٥)]، التى خلق فى رؤسهم؟!! فلا تجد حجة تجيبنا بها.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٢) فى الأصل: اتبعث.

(٣) فى الأصل: وإن لا.

(٤) فى الأصل: واقسا.

(٥) فى الأصل: لأعيانهم. وهو يقصد العين: عضو الإبصار ويجمع على أعين، وعيون، انظر المعجم الوسيط: ٢/٦٤٧.

وكيف ماأدعيت من أمر في النظر المحارم، لزمك مثله في خلقه للأعيان، وكذلك الأسماع والألسنة والأيدى والأرجل. لقولك: أليس قد خلق الله، عز وجل، يدَ السارق؟

فإن قلت: بلى [١]. قلنا لك: وكذلك قد خلق سرقته لأستار الكعبة، وأكفان ٥٦و/ الموتى [٢]، وأموال المؤمنين، فإذا قلت: نعم. قلنا لك: ما [٣] عذرك وما حجتك إذا سألناك/: لمَ عذبه على سرقته [٤] أستار الكعبة، وأكفان الموتى، وأموال المؤمنين، ولم يعذبه على خلقه ليده التي بها سرق وظلم؟!

فلا تجدُ حجة تدفعنا بها أبداً بحيلة من الحيل، إلا أن ترجع عن قولك، وتصير إلى العدل، فنقول: إن السرقة فعل العبد، ولذلك أمر بقطع يده، وأن السرقة ليست خلقاً لله، وأن اليد هي خلق لله، جل ثناؤه، لا عذابَ على العبد فيها، وهذا هو الحقُ والعدل، وهو قولنا.

وإن قلت: كلاهما خلقُ الله، اليد والسرقة.

قلنا لك: فما له لم يعذِّبه على خلق يده، كما عذبه على سرقته؟! فلا تجد حجة تدفعنا بها أبداً، ولا فرقاً يفرق لك لمَ عذَّبَ على بعض خلقه، ولم [٥] يعذب على بعضه؟ وهذا غاية الفلج، وقطع المعاند.

ثم نقول لك: خبرنا عن قوله، عز وجل، يحكى عن الكفار ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [٦]، فنقول لك: كيف جعل الكفار الملائكة إناثاً؟ وكيف هذا الجعل الذى ذكر الله، عز وجل؟ فإنه لابد لك ولا محالة أن تقول: سموهم وحكموا عليهم، بما قالوا فيهم أنهم اناثٌ غير ذكران.

فنقول لك: قد لزمك الرجوع عن قولك، والتصديق لنا أن الجعل فى كتاب الله، عز وجل، على وجهين.

---

(١) فى الأصل: بلا.

(٢) فى الأصل: الموتا.

(٣) فى الأصل: مما.

(٤) فى الأصل: سرق.

(٥) ليست فى الأصل.

(٦) سورة الزخرف: الآية ١٩.

وإن قلت : جعلوهم جعل خلق؛ لزمك أن المشركين خلقوا الملائكة!! فأى هذين الوجهين قلت به، غلبت وسقطت حجتك فى قولك أن الله، عز وجل، هو الذى جعل قلوب الكفار قاسية، جبراً وقسراً وحتماً؛ لأن الله، عز وجل، هو الجاعل للأجساد ، لا جاعل لها غيره ، وذلك قوله : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ** (٨) ﴾ [١] .

وكذلك جميع المعاصى الله، عز وجل، منها برئٌ لم يجعلها جعل خلق، ولا بنية مركبة، وإنما جعلها الظالمون باتباع الهوى وحب الدنيا، وتقليد الرؤساء والحميّة على الكفر والخطأ، والرغبة فى التافه الأدنى [٢] ، وليس لله، عز وجل، فى فعلهم فعل قل ولا كثر ، صغر ولاكبر ، عز وجل عن ذلك وتعالى علواً كبيراً.

الكسب يدل على الشرك :

ومن الدليل على تصديق قولنا، وبرهان حقنا، أن الله، عز وجل، لم يخلق أفعال العباد، ولم يقض على خلقه بالفساد ، ولم يرد الإلحاد، ولم يقدر العناد ، ولا العبادة للأنداد ؛ أن يقال لك : **ياعبد الله بن يزيد البغدادى**، ولمن قال بقولك من **المجبرة**؛ ٥٦ظ/ خبرونا عن هذه المسألة العجيبة الدامغة، أيهما عندكم أفضل، **خلقُ اللهِ، جل ثناؤه، الذى / ليس للعباد فيه اكتساب ولافعل، أم خلق الله الذى للعباد فيه اكتساب وفعل؟**

فإن قلتم : إن خلق الله الذى فيها اكتساب وفعل أفضل . قلنا لكم : فقد أوجبتم فى قولكم، ولزمكم أن الزنا واللواط والخمر والمعازف والمزامير والكبائر، أفضل من الملائكة والنبيين والمرسلين، والأئمة الهادين الراشدين، ومن القرآن المبين، ومن التوراة والإنجيل.

وهذا كفر من قائله، وهالك عند الله، عز وجل، ومن اعتقده ودان به، قد بان خطؤه[٣] ولم يجز خطابه، وانقطعت حجته ، وانهتك ستره، ولا ينبغى الكلام عندنا لمثله.

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٨ .

(٢) فى الأصل : الأدنى.

(٣) جاد فى الأصل : خطاه.

وإن قلتم، ودمتم على جهلكم والمكابرة لآيات ربكم: بل نقول: **إن خلق الله الذى ليس للعباد فيه اكتساب، ولا فعل أفضل.**

قلنا لكم: فقد أوجبتم فى قولكم هذا، ان الخنزيرَ والكلبَ والحمار، **والقرد** والبغل **واليهودى والنصرانى**، خيرٌ من الإيمان، ودين الإسلام، وكفرتم **بالله العظيم**، جل الله عما تقولون وتقدس وتعالى علواً كبيراً.

وإن قلتم: لسنا نقول إن أحداً منهما **افضل** من الآخر، ولكنا **نقول هما سواء**. لزمكم أنكم قد جعلتم الحمار والكلب والخنزير، **واليهودى والنصرانى سواء هم** عندكم، وعلى قولكم، والملائكة المقربين والأنبياء المرسلين، ومكان البيت الحرام والحجر الأسود ومقام إبراهيم، عليه السلام، والمؤمنين والشهداء والصالحين، والمشعر الحرام، سواء هو عندكم ومن ذكرتم!!!

فليس لكم، ولا لأحدٍ من جميع اخوانكم **المجبرة، أهل الفرية على الله،** جل ثناؤه..

من هذه الثلاثة الوجوه مخرج، ولا راحة بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا سبب من الأسباب!

وفى هذا تقوم الحجة بالحق، ويسقط الباطل، ويبين من المحق ومن المبطل. إلا ان ترجعوا إلى القول على الله، سبحانه، بالعدل ونفى الجبر؛ وتقولون بقولنا بالعدل، وهو دين الله، عز وجل، فتقولون: إن الله، جل ثناؤه، برئٌ من افعال العباد كلها، وانه لم يخلق منها شيئاً، قل ولا كثر، صغيراً كان ذلك أوكبيراً، ولا حسناً منها ولا قبيحاً، ولا طاعة منها ولا معصية، وتقولون: إن ذلك كله أمر ونهى، لاجبر ولاحتم ولا قسر، وإنما أمر الله، جل ثناؤه، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والأمر والنهى محتوم، اى مفروض لا جبراً وقسراً، ويصدّق ذلك قوله، عز وجل: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾** (١)، و **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** (٢)، **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ**
٥٧و/ **عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** (٣)، **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾** (٤)،

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

ولم يقل، عز وجل ، أنه خلق واحداً من هذه الأشياء، التى افترضها وأمر بها، وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ (١) ، ولم يقل خلق تأديتكم للأمانات، وأنه، عز وجل ، أرسل رسله بالدعاء إلى الإيمان ، فسارع إليه المؤمنون ، غير مكرهين ولامجبورين ، وكذلك نهى عن الشرك والكفر وجميع المعاصى، فاستعصم عليها المشركون والكافرون وجميع العاصين غير مكرهين ولا مجبرين.

وتصديق ذلك وشاهده قوله، عز وجل، لنبيه، صلى الله عليه وعلى آله، : ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ (٢) ، ولم يقل كما خلقت فعلكم وجبرتكم، ولم أرد إيمانكم، وقوله، عز وجل، للظالمين : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ (٣) ، ولم يقل عما خلقت فيهم، وأردت منهم، ولو خلقه فيهم وأراده منهم ، لم يجز فى الحكمة ولا فى العدل أن يقول : ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ (٣) .

وكيف يعتو من فَعَلَ عتوه غيره؟! فى أى لغة وجدتم هذا ، أم فى أى أى نجو (٤) أم فى أى قرآن ، أم فى أى شعرٍ قالته العرب ، أم فى أى خبر عن رسول الله ، صلى الله عليه، أم فى أى حريةٍ ، أم مروءةٍ أم فى أى سيرة، أم فى أى سنة، أم فى أى عقل أو جميل أدب ، إلا فى سيرة سدم (٥) وسننه، وأدبه وأحكامه التى هى تتحرى (٦) للصبيان ، ويتحدث الناس بها فى المجالس ، تعجباً من جور سُدم، وقبح حكمه، وسخافة عقله .

فيا سبحانه الله العظيم ، لقد جعلتم ، أيها المجبرة المفترون ، أحكام الله ، جل ثناؤه، وأفعاله كأحكام سدم وأفعاله، بل سدم عند أهل المعرفة ، يكبر عن كثير مما أسندتم إلى الله العدل، الذى لا يجوز، سبحانه وتعالى عما يصفون .

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٦٦ .

(٤) النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط ، أو السحاب يريق ماءه ثم يمضى (انظر المعجم الوسيط: ٢/٩١٢) مادة: نجا.

(٥) السدَمْ : من اصابه الهمُّ والغيظ والحزن فهو (سدمان ندمان) ، أو السَدِمُ : من الفحول : الهائج، وعاشق سدمٌ : شديد العشق ؛ ولعل المؤلف يقصد المعنى الأخير . (انظر المعجم الوسيط : ١/٤٢٦ مادة : سدم) ، وسدم : احد ملوك اليمن الجائرين، أصحاب السيرة القبيحة .

(٦) هكذا فى الأصل .

ثم زعمتم أنه غير جائز !.. وهذا الخروج من المعقول، فليت شعرى، كيف يكون الجور إلاما قلتم وعليه اعتمدتم !!.. وهذه حجة لا مخرج لكم منها، فى قولكم بخلق الأفعال. وعندها بيان فضيحتكم، والحمد لله رب العالمين.

وأما قوله، عز وجل: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (١)، فإن ذلك ليس بنسيان من وجوه (٢) النسيان، الذى يجب فيه العقاب؛ لأنه قد روى عن رسول الله، صلى الله عليه وآله، أنه قال: «رفع القلم عن ثلاث، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الطفل حتى يبلغ، وعن الناسى حتى يذكر» (٣).

تفسير النسيان فى الآية:

وأماهذا النسيان الذى ذكر فى القرآن، فهو الترك متعمداً (٤) لا نسيان سهوٍ، وذلك النسيان المتعمد، يجب على صاحبه العقابُ، وهو نسيان الترك معتمداً (٥)، شاهد ذلك قوله، عز، وجل: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (٦)، أى تركوا أمر الله، فتركهم ٥٧ظ/ من رحمته / والله، عز وجل، لا ينسى، ولا يؤاخذ بالنسيان، إلا نسيان العمد الذى ذكرنا، مما يجرى فى اللغة (٧)، فافهم هذه اللغة العربية التى جهلتها، واحتججت فيها بأول الآية، فى قساوة قلوبهم، ولم تذكر أولَ القصة، ولاآخرها، وجئت بالوسط فى الآية، ورجوت أن تتعلق فى الوسط، بحرف تتفرج إليه؛ وتتزين به، عند أصحابك، وتفترى على الله، عز وجل، فيه، ما قد قلت، فانظر ما حلَّ بك !..، والحمد لله الموضح لدينه، المعز لكتابه، وهو القوى العزيز.

قسَّى اللهُ قلوبهم بما نقضوا من الميثاق:

وأما قولك أنا سوف نحتج عليك، فى هذا الموضع، بأن الله، عز وجل، لم يقسِّ

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٣. جاءت فى الأصل: فنسوا.

(٢) فى الأصل: وجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤)، (٥) فى الأصل: معتمداً.

(٦) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٧) فى اللغة: نسِىَ فلانٌ الشئَ نَسْوةً ونَسَاوةً ونسْيَاناً: تركه على ذُهول وَغَفْلة، أو تركه على عمد. (انظر المعجم الوسيط ١/٩٢٧، مادة: نسَا).

قلوبهم ، إلا بما نقضوا من الميثاق ، فذلك لعمر الله ، من أقوى حجج الله ، عز وجل ، وحججنا عليك ؛ لأن الله ، جل ثناؤه ، لم يأخذهم إلا بعد ظلمهم ، ولم يحكم عليهم بقساوة القلوب ، إلا بعد ما اختاروا القساوة ، وصدوا عن الحق ، والشاهد لنا على ذلك قول الله ، عز وجل : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾ (١) ، وأنت تقول :(٢) **إنه أقسى قلوبهم ، بغير جرمٍ ، ولا ذنب كان منهم** .

والضلال منه أيضاً ، إنما هو ضلال حكم وتسمية ، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿ **وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** (٢٦) ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ **وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ** ﴾ (٤)، فأين ماجبرهم عليه ، زعمت ، من قساوة قلوبهم بعد هذه الحجج ، التي لا مخرج لك منها (ولا) (٥) لمجبر مثلك أبداً؟

فلكم جهدتم ، في إبطال ماقلنا ، فإن جئتم بحجة – ولن تجيئوا بها أبداً – سلمنا لكم ، ومحالٌ أن يقومَ ، الباطل أبداً (٦) ، والحمد لله رب العالمين .

المجبرة والطبع:

وأما ما قولك أنك تسالنا ، زعمت ، عن طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم ، بعد النقض لعهدهم ، وانه يلزمنا انهم مطبوع على قلوبهم، ثم كلفهم الله، عز وجل ، الإيمان ، بعد ما طبع على قلوبهم .

وشاهد ذلك عندك ، زعمت ، في كتابك ، أن **اليهود والنصارى** اليوم ، قد طبع الله على قلوبهم ، وهم مع ذلك الطبع ، مكلفون للإيمان، والخروج من الكفر.

نفى العدلية أن يكون طبع قسر وقهر:

فإن أقررنا لك ، زعمت ، بذلك فهو قولك ، زعمت ، والعدل عندك ، زعمت ،

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ .

(٢) في الأصل : « تقول انت » ، وهو سهو من الناسخ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٦ .

(٤) سورة إبراهيم : : الآية ٢٧ .

(٥) هكذا في الأصل على تقرير : ولا لمجبر مثلك ابداً الخروج منها .

(٦) اى حجة .

فاسمع إلى جوابنا ؛ وليس قولنا أن الطبع الذى طبع الله ، عز وجل ، على قلوبهم طبع جبر ولا قسر ، فتلزمهُ الجورَ والظلم والخروج من قرآنه الذى قال فيه : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [1] ، و ﴿إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [2] ، وقوله : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾ [3] ، وقوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً (١٥)﴾ [4] ، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ (٣٩)﴾ [5] ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [6]، ﴿وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾ [7] .

هو طبع حكم وتسمية :

٥٨و/ **وإنما ذلك الطبع طبع حكم وتسمية ، حكم عليهم ، عز وجل ، وسماهم** مطبوعاً على قلوبهم ، بما اختاروا من الضلال ، وتركوا الحق وما جاءت به الرسل، صلى الله عليهم ، ولو كان الأمر على ذهبت إليه، لم يكن **اليهود والنصارى** اليوم مكلفين الإيمان ، وكيف يكلفون الإيمان، وقد حال بينهم وبينه بالطبع. على قلوبهم - زعمت ؟!

وفى هذا الخروج من حكم القرآن. والجبر لرب العالمين ، وهذا يوجبُ على أهل الإسلام أن لايقاتلوا الروم ، ولايسبوا حرماتهم، ولايغنموا أموالهم، ولايسفكوا دماءهم، وأن لايدعوا **يهودياً ولانصرانياً** إلى الدين أبداً ؛ لأنهم فى قولكم ، قد طبع الله على قلوبهم ، ولا حيلة لهم فى الرجوع إلى الإيمان ، من أجل ذلك الطبع الذى قام به عذرهم فى قولكم.

وهذا أعظم الجور، وأبين الكفر ، إذ نَزَّلَ اللهُ ، عز وجل ، علينا قرآناً (أخذناه من) نبى صادق، يقول لنا فيه : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [8] ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٢) سورة الطلاق : الآية ٧ .
(٣) سورة فصلت : الآية ٤٦
(٤) سورة الإسراء : الآية ١٥ .
(٥) سورة النجم : الآية ٣٩ .
(٦) سورة الزلزلة : الآية ٨ .
(٧) سورةالأنعام : الآية ١٦٤ .
(٨) سورة الأنفال : الآية ٣٩ .

فكيف يكون الدين كله لله ، وقد طبع الله على قلوبهم بالقسر والجبر ، حتى لم يقدروا على الخروج من الكفر، الذى فى زعمكم؟!

ونحن فلا ننسبُ إلى ربنا هذا ، عز وتعالى أن يكون هذا فى حكمته ، وفى ملكه وإتقانه ، عز عن هذا القول الذى قلتم .

وكذلك قوله فى اليهود : ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (١)، وإنما الطبع على قلوبهم، اسم سماهم به بفعلهم ، وحكم (حكم) (٢) عليهم به بفعلهم، شاهد ذلك قوله ، عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٣)، وكذلك قال ، عز وجل : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٤) أى حكم عليها بأنها زائغة عن الحق ؛ لا أنه هو الذى أزاغها عن الهدى (٥) ، ولو أزاغها عن الهدى، لم تلزمها حجة ؛ إذ لا طاقة لها بالزيغ لقلوبها ، ولا قوة لها عليه ، ولو كان ذلك منه ، عز وجل ، لم يكن بينه وبين إبليس فرقٌ ، فى عداوة بنى آدم وصدهم، وإضلالهم وإقساء قلوبهم ، وإمالتهم عن الهدى ! جل الله عن ذلك ، وتعالى علواً كبيراً.

تم الجزء الأول ويتلوه الجزء الثانى

***

---

(١) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) سورة يونس : الآية ٤٤ .

(٤) سورة الصف : الآية ٥ .

(٥) فى الأصل : الهدا